الوقاية من السلّ

قد اشتدّ اهتمام الممالك الاوروبية في هذا الايام بامر هذا الداء الوبيل الذي ضرب اطنابهُ في اكثر المدن الغنآء وانتشرت عدواهُ انتشاراً ذريعاً ولا سيما في الارجآء الفرنسوية حيث يموت بهِ في السنة لا اقلّ من مئة وخمسين الف نفس . وقد عُقِد في اواخر شهر اوغسطس في مدينة باريز مؤتمر طبي اجتمع فيهِ اشهر الاطبآء من جميع ممالك اوربا للبحث في هذه العلة والوقوف في طريق امتدادها ونحن ننشر خلاصة ما دار من المباحث في هذا المؤتمر ملخصةً عن مقالةٍ طويلة للدكتور نيوانكلسكي نشرها في احدى المجلات العلمية قال

لا يخفى ان هذه العلة اكثر الامراض المعدية انتشاراً واعظمها فتكاً في نفوس المصابين بها فان الذي يؤخذ من مجمل الاحصآءات انها تتناول الربع من افراد الأُسَر الفاشية بينها ويموت بها ما يزيد على السدس فهي اشدّ فتكاً من الكوليرة لأنا اذا تفقدنا اعداد الذين ماتوا بالكوليرة في قسم السين من سنة ١٨٣٢ الى سنة ١٨٥٣ وجدناهم ٥٧ الفاً الا ان السلّ يقتل في كل سنة ١٤ الف نفس في القسم عينهِ وعليهِ ففي اربع سنوات فقط يفعل ما فعلتهُ الكوليرة في احدى وعشرين سنة

اما اسباب السلّ فانهُ ينشأ عن نوعٍ من الجُسيمات الحيّة اكتشفهُ الدكتور كوخ بهيئة عُصيّاتٍ مستطيلة يبلغ طول الواحدة منها ٣ من الف من المليمتر وقُطرها نحو العُشر من ذلك . وهذه الجسيمات تمتاز بقوّتها

على احتمال الفواعل الطبيعية والكيماوية فانها في حالة الجفاف لا يقتلها البرد ولا الحرّ الى ١٠٠ درجة وتبقى عدواها بعد ان تتطاير مع الغبار الى ستة اشهر . وهي تدخل البنية من طرقٍ عديدة وتجري مع الطعام في المسالك الهضمية واكثر ما تدخل الجسم مع اللبن ولذلك وجب اغلآؤهُ قبل ان يُتناول مدة ١٠ دقائق في الاقلّ واما لحم الحيوان فقلما يعدي الا في ندور وبخلافهِ الدماغ والكبد والقلب والكليتان والمخ فان هذه كلها تحمل العدوى ولذلك ينبغي ان لا تُتناول الا مع التحرز

واكثر ما تكون عدوى هذه العلة من طريق التنفس بما يُستنشَق من جراثيمها المنتشرة من نفث المسلولين اذا جف وتطاير في الهوآء الا ان مجلسها لا يكون دائماً في الصدر خلافاً للشائع في معتقد العامّة لانها قد تصيب الجهاز الهضمي والعصبي والعظام والمفاصل وربما انحصرت في العين او الاذن او غيرهما وحينئذٍ يمكن ان تُشفى بالعمل الجراحيّ مع العناية بالتدبير العام . على انها في غير ذلك كثيراً ما تكون قابلةً للشفآء خلافاً لما تعتقد العامّة ايضاً لكن لا بدّ مع ذلك من كون الجسم قويّاً صحيح البنية لان نمآء هذه الجراثيم يتوقف على حالة المرعى الذي تغتذي منهُ ولذلك كان الضعفآء الابدان والسيئو الغذآء والمجهودون بالتعب المتواصل وسائر ضروب النواهك البدنية اقرب الى الاصابة بها وابعد عن امل الشفآء

على انهُ الى الآن لم يُظفَر بالعلاج الذي يطّرد نفعهُ في هذا الدآء لان جميع التجارب التي أُجريت فيهِ صدقت في بعض الحوادث دون بعض وحينئذٍ فلم يبقَ الاّ إِعمال الجهد في التحرُّز منهُ قبل حدوثهِ وهذا يتوقف

على امرين احدهما اتقآء عدواهُ من الخارج بمنع وصول جراثيمهِ الى الاصحاء والثاني مقاومتهُ من الداخل بتقوية الابدان المعرَّضة لهُ حتى اذا خالطتهم تلك الجراثيم لم تفعل فيهم فعلها في المصابين بهِ . ولسنا ننكر ما في اول هذين الامرين من الصعوبة وبُعد المنال وان ظهر في بادي الرأي سهلاً اذ هو من الامور التي تتعلق بالجمهور باسرهِ فلا يُتمكن من الاستيلآء عليهِ الاّ بعد تضافر جميع طبقات الناس على تحقيقهِ وهيهات ذلك مطلباً . ومع ذلك فانهُ بالمكان الاول من الاهمية لانهُ قد ظهر من الاحصآءات المتوالية ان تأثير العدوى اعظم كثيراً من تأثير الإرث بحيث ان الحوادث الناشئة عن الارث لم تكن الاّ السدس من مجمل عدد الاصابات وعليهِ فلو امتنعت العدوى لنجا من المئة والخمسين الفاً الذين يموتون كل سنة في فرنسا مئة وخمسة وعشرون الفاً

وقد تقدم ان العدوى واردة على الاكثر من نفث المصابين بعد جفافهِ وانتشارهِ في الهوآء وتدراكاً لذلك قد اصطلحوا على وضع متافل في المجتمعات وسائر الاماكن المطروقة الاّ ان هذه المتافل غير وافية بالغرض المقصود منها بل هي مما يساعد على انتشار العدوى وسرعة تفشيها لان اكثر ما يُجعَل فيها الرمل ونشارة الخشب وهما مما يعجّل جفاف النفث وتحويلهُ الى هبآء يتطاير عند اقلّ حركةٍ في الهوآء

وقد اطال المجمع الطبي والمؤتمر الاخير من البحث في امر هذه المتافل فاجمعوا على وجوب اتخاذ متافل من خاصيّتها قتل الجراثيم المرضية او منع مضرّتها وذلك بان يُجعَل فيها سائل يمنع الفساد كالمحلول الذي

وصفهُ المسيو ميكال وهو ان يؤخذ جزآن من كلورور الزئبق و٢٠ جزأً من كلورور الصوديوم وتُحلّ في ١٠٠٠ جزء من المآء . ثم ان يكون وضع هذه المتافل بحيث يسهل التفل فيها اي ان توضع على مسافة مترٍ من الارض متصلةً بالجدار او مركوزةً على عمود و يكون منها متافل منقولة توضع في قُطُر الحديد والعجلات وغير ذلك

وقد ارتأى بعضهم ان يُصطلَح عوض ذلك على متافل صغيرة تُحمَل في الجيب فيستصحبها الانسان حيثما ذهب غير ان هذه لا تتمّ فائدتها الا اذا عمّ استعمالها وهو من الامور المستبعدة لانها تكون دليلاً على ان مستعملها مصابٌ بالدآء فتبعث الناس على تجنبهِ خوف العدوى . وحينئذٍ فلا سبيل الى تعميم استعمالها الا بان تُدخَل في جملة الآداب العامّة حتى ان من لا يبصق في متفلة سوآءٌ كان مريضاً او لا يُعَدّ ناقص التهذيب

اما شكل متفلة الجيب فقد مُثلت بهيئاتٍ مختلفة افضلها ما عرضهُ بعض اعضآء المؤتمر وهو ان تتخذ قارورةٌ من الزجاج الاصفر او الازرق واسعة الفم يكون موسوعها نحو ١٠٠ غرام تُسدّ بسداد من المطّاط (الكاوتشوك) غير شديد الصلابة ليمكن ان يكون السدّ بهِ محكماً ويُجعَل في القارورة قطعةٌ من القطن السليماني بعد ان تُغمَس في المآء وتُعصَر . ومتى اريد تنظيف المتفلة يُستخرَج منها القطن بطرف سلكٍ معدنيّ ويُطرَح في النار ثم تطهَّر القارورة بشيء من محلول ميكال الذي سبقت صفتهُ قريباً . ولا يجوز القآء القطن المذكور في المرحاض على ما جرت بهِ العادة في مثل ذلك الا بعد ان يُقتَل ما فيهِ من الجراثيم المرضية والا فانها ان بقيت حيةً

لا تلبث بعد ان تخرج الى الهوآء ان تجفَّ وتنتشر

وارتأى بعضهم ان تتخذ تلك المتافل من الورق المضغوط لانها حينئذٍ تكون رخيصة الثمن فاذا امتلأت طُرحت بما فيها في النار واستُعمل غيرها ولعلّ هذه اقرب الى ضمانة تلف الجراثيم وتجنب اسباب العدوى

على ان العدوى لا تقتصر على النفث ولا يغني فيها امر المتافل وحدهُ ولكن لا بدّ مع ذلك من تطهير ملابس العليل ولا سيما مناديلهُ وان لم يتفل فيها ويجب التحرز من الغبار الذي يثور من حجرتهِ عند الكنس فيجتزأ عن الكنس بمسح ارض الحجرة كل يوم بخرق مبلولة وعلى الجملة فانهُ يجب الاحتراز من كل ما يلامس العليل او يتصل بهِ وكل مُبرَزٍ من مبرزاتهِ من اي طريقٍ كان

وقد ذكرنا ان من اسباب العدوى بهذا الداء المطاعم واقواها شبهةً اللبن لانا وجدنا ٩٩ في المئة من اولاد المسلولين يولدون اصحاء ولكن يتطرق اليهم مزاج السلّ بالإعداد فهو يكون فيهم بالعدوى لا بالإرث ولذلك يجب ان لا يرضعوا من والداتهم وان يوكل ارضاعهم الى مراضع سليمات الابدان واذا احوج الامر ان يربّوا على لبن البقر فلا بدّ من اغلائهِ على ما تقدّم

وبقي الكلام في مرعى جراثيم المرض من الجسم وقد قدّمنا ان هذه الجراثيم لا تنتشر ويستفحل امرها في الجسم الا اذا اصابت فيهِ مرتعاً يوافق حياتها ونمآءها لانها اذا دخلت جسماً سليماً لم تجد فيهِ غذآءها فتموت او يبطل فعلها ولهذا كانت عدوى هذا الدآء تتناول بعض الناس دون بعض مع استوآئهم في التعرض لاسبابها وكذا يقال في سائر الامراض المعدية

ومعلوم ان تقوية الجسم انما تتمّ بالمحافظة على الحالة الصحية واستدامتها والاعضآء لا تقاوم الدآء وتثبت امام العوارض الا اذا كانت صلبة البنآء وهذه الصلابة ينبغي ان تُكتسَب بالتدريج منذ الحداثة الاولى فليس شيءٌ من معِدّات الطفل للمرض مثل ان يربى كما يقال في علبةٍ من قطن . ولذا ينبغي للطفل منذ ولادهِ ان يعوَّد البرد فلا يُحصَر في حجرةٍ دافئة ولكن يعرَّض ما امكن للهوآء المطلق . ولمقاومة البرد يجب ان يعوَّد الرياضة البدنية التي بها تُحفَظ الحرارة الغريزية لكن بشرط تجنب الافراط فيها وانفع انواع الرياضة لهُ المشي ولا بأس باستعمال الدرّاجة لكن لا يحسن ان يكون ذلك قبل بلوغهِ الثانية عشرة من سنيهِ وبشرط ان تكون بحيث توافق قدّهُ وقواهُ وذلك مع كونهِ قويّ البنية بحيث لا يُعقِبهُ استعمالها تعباً يوجب الاعيآء ويفضي الى الهزال . وكذلك الرياضة الفنّية المعروفة بالجمنستيك لكن مع التدريج البطيء في اطوارها . ولا بدّ مع استعمال الرياضة من العناية بامر التغذية لإِخلاف ما يتحلل من البنية لكن من غير افراط

ومما ينبغي تجنب الافراط فيهِ المشروبات الروحية فانها تشوش اعمال الجهاز العصبي والهضمي والدوري وكثيراً ما تكون مهيئةً لقبول العدوى وكذلك ينبغي تجنب الافراط في التنعم والرفاهية والراحة ومنع الضغط على الاعضآء بتضييق الملابس ولا سيما على الخصر والاعضآء الصدرية كما تفعلهُ المولعات بطلب الجمال وخصوصاً الشابّات اللواتي لم يتكامل نموّ بنيتهنّ بحيث يحوّلنَ اعضآء التنفس عن وضعها الطبيعي ويضغطنَ على آلات الهضم فان ذلك من اعظم المهيئات للعلل التدرنية

ويجب التوفر التام على العناية بامر المسكن فانهُ ينبغي ان يكون بحيث يدخلهُ النور والهوآء بكثرة وقد جآء في مثلٍ قديم من امثال الفرس « حيث يقلّ دخول الشمس والهوآءِ يكثر دخول الطبيب » فانهُ لا شيء اقتل للجراثيم المرضية من الشمس ولا شيء اشدّ ضرراً في المنازل من اكثار الستائر ومضاعفتها فانها اولاً تحجب النور الذي هو من اعظم اسباب الصحة وثانياً تكون موضعاً تعشش فيهِ تلك الجراثيم بما يتجمع بين اثنآئها من الغبار

هذا اهمّ ما ينبغي اتخاذهُ من اسباب الوقاية ولا حاجة الى ذكر سائر الاحتياطات المشهورة من مثل نظافة البدن والملابس والمسكن وتخير انواع الغذآء غير انهُ لا بدّ لنا ان نكرر الالحاح فيما يتعلق بامر الصغار وتربية ابدانهم على الطريقة التي تمنع اعدادهم لهذا الداء الوبيل لما ان الامر يرجع في الاكثر الى حالة البنية كما اسلفناهُ فان قوّتها اعظم مقاومٍ لهُ وسلامتها اصدق ضامنٍ للوقاية منهُ والله الواقي

غوائل الحروب

ما ترى الطير اقبلنَ اسراباً تحسبها سحاباً يملأ عنان الفضاء ويحجب وجه السماء فاجتمعنَ فوق بقعةٍ اعدّ فيها الانسان وليمةً من لحوم اخوانهِ وجسوم بني جنسهِ وتداعت الوحوش من الاودية والاكام وقد برزت من الكهوف والآجام فتواردت من كل فجٍّ متسابقةً متدافعةً

لتروي ظمأها من دم الانسان وتملأ بطونها من لحمهِ فتقتصّ منهُ عما ارهقها من الجهد والبلاء والمطاردة في اكناف العراء وهي تتحدث بقسوتهِ وفظاظة طباعهِ وقد بلغ منهما ما لم تبلغهُ هي على شراستها ودناءة جبلتها . وذلك بعد معتركٍ قام بهِ الطعان بين فئتين من بني الانسان والتحم القتال فاظلم الفضاء بالدخان المتكاثف وارتجت الارض بالرعود القواصف من دويّ المدافع التى تنبعث كراتها الهائلة فتحصد النفوس حصداً وتخرّ لها المدن والاسوار هدًّا وقد فُقدت من الانسان عاطفة الرقة والحنان فانقلب وحشاً ضارياً ينقضّ على ابن جلدتهِ فيمزقهُ كل ممزق وتتراكم جثث القتلى فتحسبها تلالاً وما هي بتلال وانما هي اجساد الرجال بجوهرها الانساني ونفوسها الناطقة . ويمشي القائد الظافر مفتخراً يكاد ينطح برأسهِ السماء ويداهُ ملطختان بالدماء يفضّ بهما رسائل التهانئ من الملوك والامراء فتتركان فيها اثر الهمجية والعار وسمة الخزي والشنار

وليت شعري اي فضل اتى ذلك القائد واي سعادةٍ جرّها الى الانسانية حتى ينال لاجلها جميل الذكر ويكافأ عليها بالثناء والشكر سوى انهُ كان قاسي القلب فظّ الطباع جامد الشعور فأمر بسفك الدماء وتدمير البلاد وصبر على مشاهدة ما ارتُكب من الفظائع في بني جنسهِ دون ان يندى لهُ جفنٌ او تتحرك فيهِ عاطفة ثم داس برجليهِ ركام القتلى وخاض بهما سيول الدماء وهو يتخيل انهُ انما يدوس يفاع الفخر ويخوض غمار المجد وقُصاراهُ ان ينقلك في هنيهةٍ من عصر الحضارة والنور الى ما سبق من ظلمات الخشونة في سالف العصور

هل بلغ من غباوة البشر ان سُدِل على تصوراتهم هذا الحجاب الكثيف ام انحط الانسان بجبلتهِ عن الدرجة التي خُلق عليها ام لا يزال يتسلسل فيهِ ما ورث عن آبائهِ الاولين من ان السلب والقهر عنوان العزة والفخر وان السفح والتدمير اساس المجد والحسب النمير ايام قام امثال اسكندر وأنيبال وتيمور ونابوليون الذين دمروا المدن وابادوا مئات الالوف من بني الانسان وعاثوا في جسم الانسانية فساداً ففعلوا بهِ ما لم تفعلهُ الاوبئة المخيفة والناس مع ذلك يقيمون لهم التماثيل ويخصّونهم بكل تعظيم وتبجيل وقد ملأوا صحف التواريخ بذكر اعمالهم محفوفةً بالثنآء عليهم والاعجاب بما أُوتوا من الذكآء والاقدام وهم لم يستخدموا ذلك الذكآء الا فيما يؤيد سطوتهم ويمكّن هيبتهم في النفوس ويبلّغهم ما تطمح اليهِ مطامعهم من الاثرة والسيادة ولا رأينا من اقدامهم الا استباحتهم لكل محظور من المظالم والمحرمات وركوب الفظائع والموبقات مع انهُ لا يصعب على الانسان كما قال احد فلاسفة الفرنسيس ان يتصف بالظلم ويمارسهُ ولا هو مما يحق الافتخار بهِ . وليت شعري الا يُفضَّل على هؤلآء امثال ارسطو وابقراط ونيوتن وبستور وسائر اهل الفلسفة ورجال الطب وخدام المدنية وناشري الوية العلم الذين كشفوا للناس سرّ الوجود واسسوا لهم قواعد الحضارة وارشدوهم الى سعادة الحياة وخففوا عنهم وطأة الشقآء فما اعظم الفرق بين الفئتين

وان قيل ان فضل اولئك الغزاة انهم خدموا بلادهم ووسعوا نطاقها وزادوا ثروتها بما ساقوا اليها من موارد الكسب وما اخضعوا لها من الامم

قلنا ان هذه هي الاثرة بعينها فان هذه من المنافع الخاصة بفريق دون آخر بل هي من تضحية قوم لقوم على ان شرائع العدل الطبيعي لا تجيز ان يُبلَغ الى الثروة على اجسام الرجال ولا ان تشرى البلاد بالنفوس الغوال

ألا ما لزعماء الاصلاح واهل النور ودعاة التمدن وارباب الاحكام وواضعي الشرائع قد صَمَّت آذانهم وصمتت افواههم وسدل ذكر الفوز ستاراً على ابصارهم فهم لا ينظرون وقد كانوا من قبل ينادون بسموّ فطرة الانسان وعلو شأنهِ في الوجود وصيانة حقوقهِ وحفظ كرامتهِ واجتناب مضرّتهِ فما بالهم لا يبالون بالالوف منهُ تسقط تحت حدود السيوف وتتناثر اشلاؤها في مجازر الوغى وتُهدَم ديارها وتُغنَم اموالها وتُغصَب عقارها وتذهب نساؤها وعيالها فريسة الجوع والشقاء وسائر انواع البلاء

افي العدل ان يرفع احدهم يدهُ الى السماء متهدّداً باسم الشرع كل فردٍ من الامة يعتدي على اخيهِ او يغصب حقًّا من حقوقهِ ثم يسلمهُ باليد الاخرى سيفاً ويأمرهُ ان يذهب ويقتلهُ حتى اذا عاد ظافراً نال على ذلك اسنى المكافأة وعُدّ من عظماء الرجال

او ليس من الغريب انهم يجتهدون في اختراع اشدّ الآلات فتكاً واعظمها ابادةً وتدميراً فيرسلونها الى ميادين الحرب ثم يُصحبونها باعضاء جمعيات الرحمة لمداواة المرضى واساوة المجروحين . فكيف يكون بعد تلك القسوة شفقة ام هل يجتمع الظلم والرحمة والعنف واللين . لا جرم ان تلك فصول تمثيلٍ مضحك يموّه بها على عيون الناظرين فيشتغلون بلهوها عن ان يسبروا غورها وما زال الانسان وحشيّ الطبع وان تنكر تحت ثوب

الانس والرقة تمويهاً وزوراً وتستر بما يسميهِ تمدناً وهو عن التمدن بمراحل

ويسألون متى يتاح للمجتمع الانساني ان يتمتع بنعيم السلام وهنآءة الالفة والوئام فيُطرَح السلاح وتلغى الحروب وتنقضي الغارات وتبطل الفظائع وتنصرف الامم الى اصلاح شؤونها والتوفر على اسباب سعادتها ونعيمها وهل يدخل الانسان ذلك الطور في احد عصورهِ ام تبقى تلك الامنية في رؤوس بعض عظمآء الرجال لا تخرج عن حيز التمثُّل والخيال . وهيهات ان ذلك لما يستحيل بلوغهُ على الانسان وهو على ما عُرف بهِ من الطمع والأثرة التي غرستها فيهِ يد الفطرة فليس ينزع عنهُ الا بتوالي العصور وتمام انتشار العلم والمعارف حين تتطهَّر الاهوآء وتعلو النفوس فلا يساق افراد الامة الى طريق الخير كرهاً وهم جاهلون المصير بل يسعون اليهِ عن رغبةٍ واقتناع . وان قيل ان امتداد التمدن لا يكفل بلوغ تلك الغاية لانهُ يشاهَد بامتدادهِ امتداد الشرور وبانتشارهِ انتشار فظائع جديدة لم تكن معروفةً من قبل فهو غير قادر ان يستأصل من الفطرة الانسانية ما لازمها من الخواص الحيوانية قلنا ربما لا يصعب على الطبيعة التي تخفض الجبال وترفع السهول وتغير وجه البسيطة في كل زمان ان تغير شيئاً من فطرة الانسان

موسى صيدح

عدد السبعة

لحضرة الفاضل ميخائيل افندي اسطنبولية في دمشق

(تتمة ما في الجزء السابق)

وقد بقي في كلامهم عدة آثار تدل على اعتقادهم الفضل والقوة في السبعة

فمنها قولهم للمقتدر أخذهُ اخذ سبعة وعذبهُ عذاب سبعة وسبَعَ الله لك اي اعطاك الله اجرك سبع مراتٍ او سبعة اضعاف

وبعد الجاهلية انزال القرآن على سبعة احرف اي سبع لغات من لغات العرب وكون الفاتحة سبع آيات وهي المدعوة احياناً بالسبع المثاني وقول المستشهد لا اله الا الله سبع كلمات وان السماوات سبع والارضين سبع وابواب جهنم سبع والطواف بالكعبة سبع مرات والحصى التي يرمى بها في الحج سبع وهي المدعوة بالجمرات وان سحرة فرعون كانوا من سبع مدائن .

ومن بعض الآيات التي جاء فيها ذكر السبعة قولهُ في سورة التوبة « ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » وفي سورة الاعراف « اختار موسى قومهُ سبعين رجلاً » وفي سورة البقرة «مثل الذين اموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ انبتت سبع سنابل » وآياتٌ كثيرة غير هذه طابق فيها ذكر السبعة لما ذكر عنها في التوراة فلا حاجة الى تعدادها

وفي الحديث قولهُ « المؤمن يأكل في معىً واحدٍ والكافر في سبعة امعآء » وقولهُ « اذا ولغ الكلب في اناء احدكم فليغسلهُ سبع مراتٍ احداهنَّ بالتراب » و « اذا همَّ احدكم بامرٍ فليستخر ربهُ فيهِ سبع مرات » وغير ذلك

وقد رأيت في مكتبة الملك الظاهر في دمشق في جملة كتب لرجل من الصالحية يدعى يوسف بن عبد الهادي اسم رسالةٍ يدلّ عنوانها على انهُ قد استقصى فيها جميع الاقوال والافعال النبوية المذكور فيها عدد السبعة والعنوان هو « السباعيات الواردة عن سيد السادات »

ولا بأس ان اذكر هنا بعض آثار السبعة في تاريخ الدروز كان الحاكم

بامره وهو سابع خلفاء مصر من الفاطميين يقول ابي علي وامي فاطمة بنت النبي يقول ذلك على المنبر كل سبعة ايام ولبس الصوف سبع سنين ومنع النساء من الخروج الى الطرقات ليلاً ونهاراً قال ابن خلكان كانت مدة منعهنّ سبع سنين وسبعة اشهر

وفيما خلا الدينيات كون بنات نعش في السماء سبعة كواكب واجتماع سبعة انجم في الثريا. قال الشاعر

خليليَّ اني للثريا لحاسدُ وانى على ريب الزمان لواجدُ
أيُجمع منها شملها وهي سبعةٌ وافقدَ من احبته وهو واحدُ

واعتقادات القدماء ان السيارات سبع والمعادن سبعة والبحار سبعة والاقاليم سبعة وكون طبقات الموسيقى سبعاً واجتماع سبعة الوان في قوس قزح وغير ذلك مما اضرب عنهُ صفحاً

ولم تخلُ المنظومات ايضاً من آثار هذا العدد فقد عددوا للشتاء سبع كافات جمعها ابن سكرة في قوله

جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبعٌ اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كيسٌ وكنٌّ وكانونٌ وكأس طلاً بعد الكباب وكفٌّ ناعمٌ وكِسا

وعدد بعضهم في مقابلتها سبع ميمات للخريف فقال

جاء الخريف وعندي من حوائجه سبعٌ بهنَّ قوام السمع والبصرِ
موزٌ ومزٌّ ومحبوبٌ ومائدةٌ ومسمعٌ ومدامٌ طيبٌ ومرسى

وقال المتنبي مفتخراً بسبعة

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلمُ

وعارضهُ ابو الحسين الجزار بسبعة فقال

اللحم والعظم والسكين تعرفني　　والقطع والخلع والساطور والوضمُ

وقد بقي غير هذا الذي اوردتهُ امثلة متعددة في التنجيم والسحر وسائر العلوم والفنون وانما ذكرت قطرةً من بحر ولو اردت ان استقصي للزمني مجلد كامل ٠ ومن هذا القليل الذي سردتهُ يُستدَلّ على شرف هذا العدد وعِظَم اهميتهِ في الاديان كافةً وعند الشعوب قاطبةً وقد انفرد بالشهرة دون غيرهِ من الاعداد وكان لهُ من الآثار في تواريخ الامم ما ليس لسواهُ ٠ وقد جاءت اقوال مختلفة في اسباب هذه الخاصية التي لهُ فقال بعض الشرقيين السبعة عدد كامل لجمعهِ العدد كلهُ اذ العدد اما ازواج او افراد فالازواج الاثنان والاربعة والافراد الثلثة والخمسة واما الواحد فليس بعدد على المشهور فاذا جمعت الزوج الاول وهو الاثنان مع الفرد الثاني وهو الخمسة او الزوج الثاني وهو الاربعة مع الفرد الاول وهو الثلاثة كان مجموع كلٍ منهما سبعة وهذا التفسير على ما فيهِ من الذكاء لا يكشف سرًّا ولا يبين مغزًى لان الشعوب قديماً من سكان المدن والقفار حين اقبلوا على تعداد السبعة في معتقداتهم وعوائدهم واحتفالاتهم لم يكونوا يعلمون هذه الخاصية المستنبطة ٠ وقال آخرون ان السبعة انما شاعت هذا الشيوع وعمت سائر الاحوال الدينية والمدنية لما كان عليهِ الناس قديماً من عبادة الكواكب السيارة السبعة فاعتبروا لذلك هذا العدد مقدساً وجعلوهُ اساساً لكل تقسيم لهم ولذلك وُجدت آثارهُ على اكثر الابنية الدينية القديمة عندهم كما مرّ بنا سالفاً ٠ وجعل بعضهم الرمز في ذلك كلهِ الى ايام الاسبوع وكلا

القولين وان صح بعضهُ في زمنٍ فلا يصح في زمنٍ آخر لان تقسيم الايام الى اسابيع لم يكن من وضع الناس وكثيراً من معدودات السبعة وُجدت في حين لم يكن للفلك والكواكب تعدادٌ او علمٌ يُعرَف والارجح ان هذه المزية التي آثر بها الناس عدد السبعة على ما سواهُ من الاعداد مسببة عن اعتقاد كونهِ مقدساً ولذلك قال فرجيل الشاعر اللاتيني من شطر بيتٍ ما تعريبهُ ان الآلهة تحب العدد الفرد

ومن قرأ اسفار الوحي خاصةً ورأى كم ذُكر هذا العدد في كلام الله عزّ وجلّ ووصاياهُ مما نقلت بعضهُ في ما سبق حكم ان تفضيل السبعة على ما سواها وشيوعها هذا الشيوع في المعتقدات والعادات والمصطلحات ليس من باب العبث او الاتفاق وانما هو ناشئ عن سببٍ اوجبهُ ولعلهُ كان نظراً لخلق الله العالم في سبعة ايام واستراحتهِ في السابع منها قال في سفر التكوين وبارك الله اليوم السابع وقدّسهُ لانهُ فيهِ استراح من جميع اعمالهِ فلما بورِك اليوم اعتبُر العدد نفسهُ مباركاً وشاع ذلك الشيوع الذي نقلت من بعض آثارهِ قليلاً من كثير . ولست اريد بهذا ان عدد السبعة نفسهُ قُصد بالبركة ولكن لحقتهُ البركة من طريق الظرفية اي بما انهُ كان ظرفاً وزماناً لليوم الذي فيهِ استراح الله لا انهُ مقصود بذاتهِ بحيث لو كانت قد حصلت هذه الاستراحة في اليوم الخامس مثلاً او غيرهِ لاعتبر الناس ذلك العدد مباركاً وادخلوهُ في كل معدود لهم والله اعلم بالصواب

آثار ادبيّة

سبيل الصلاح — اطرفنا بنسخةٍ من هذا الكتاب النفيس وهو مجموع الخُطَب التي ألقاها قدس الحبر الجليل العلاّمة المنطيق السيد جرمانس المعقَّد مطران اللاذقية في الكنيسة الكبرى بدمشق ايام الصيام الكبير من سنة ١٨٩٦ . وهي تسع عشرة خطبةً مطوّلة في اغراضٍ مختلفة جمع فيها بين حاشيتي الدين والفلسفة واودعها من نفحاته القدسية وعباراته القُسّية ما يُستروَح منهُ نسيم الجِنان ويملك أعنّة السمع والجَنان ومن قوة الحجج المنطقية واشعة البراهين العلمية ما تتلقاهُ الالباب بالاذعان وتستنير به البصائر والاذهان الى زواجر تُرَدّ بمثلها الاهوآء عن الجماح ونصائح تُقتاد بها النفوس الى سبيل الصلاح فجزاهُ الله على هذا التأليف وغيرهِ خير ما جزى بهِ ذوي الاحسان ولا زلنا نتلقى من نوابغ علمهِ ما ينطق بحجتنا يوم تَعشَى البصائر ويتلجلج اللسان

فاكهة النديم في تهانئ السليم — انتهت الينا نسخةٌ من كرّاسةٍ بهذا العنوان تشتمل على مجموع القصائد التي نُظمت لحضرة الوجيه الامثل سليم باشا الملحمة تهنئةً لهُ برتبة الوزارة السنية جمعها وطبعها حضرة الاديب جرجي افندي مرعي صاحب المكتبة اللبنانية في البترون . وقد تصحفنا بعضها على قدر ما وسعهُ وقتنا الضيق وفسح لنا تراكم الاشغال فرأينا فيها من غرائب النظم ما استوقفنا وايم الله بين الحيرة والاسف لما تمثل لنا من

تخلف صناعة الادب في بلادنا السورية مع ما نعلم فيها من زيادة وسائل انتشار العلم وكثرة المدارس والدارسين وتمنينا ان لا يكون ذلك عن تراجعٍ في الفطرة وانتكاسٍ في استعداد السُلالة الشرقية التي طالما لمعت اشعة ذكآئها في العصور الغوابر . ولا جرَم ان مثل هذا لما تنقبض لهُ صدور الآمال ويكفهرّ لهُ محيّا الاستقبال ومما يُسجِل على الشرقيّ بتمام الانحطاط والاضمحلال لولا اننا لم نزل نشاهد من نجابة مواطنينا الاعزآء ونوابغ عقولهم حيثما انقلبوا وفي اي مأخذٍ شرعوا ما يؤيد ان شعلة ذلك الذكآء لم تبرح تتوقد في فِطرَهم الشفافة وما استبنّاً منهُ ان ما ظهر لنا من ذلك التخلّف لم يكن عن نقصٍ في الغرائز ولا فتورٍ في الذكآء وانما هو من نقص العلم وسوء التلقين وفقد المنبهين على العثرات والمسددين في طريق العمل مما سوّل للقاصر ان يتطاول الى ما يفوت يدهُ من الغايات واراهُ طريق الفضل سهلاً فوطئهُ وهو لا يدري ما امامهُ من المهاوي والعقبات فكثر المتطفلون على موائد العلم والمجترئون على مقامات الشعر والانشآء على حين لا وازع يَزَع ولا هادي يدعو فيُتَّبع وما كان احوج البلاد الى مسيطرين على اقلام الشعرآء والكتّاب كما ان فيها مسيطرين على اقلام اصحاب الجرائد السياسية وصحف الاخبار لانهُ ان خيف من تلك ان تضرّ بالمصلحة الوطنية من الجهة السياسية فان هذه ولا جرَم تضرّ بها من الجهة الادبية بما تؤدّي اليهِ من فساد اللغة التي هي اعظم اركان الوطنية واهمّ روابط الجامعة الأُمّية

ومعلومٌ ان الشعر من اعلى طبقات الكلام وابعدها غايةً لما يقتضيهِ من شرف الالفاظ ونباهة المعاني وسلامة الذوق والمبالغة في التنقيح والتهذيب

فابتذالهُ على ألسنة غير اهلهِ مما يزري بهِ ويفسِد رونقهُ ويُسقِط مزيتهُ بل ربما افضى الى دفن كثيرٍ من جواهرهِ في صدور اربابهِ لانهُ اذا اصبح متداولاً بين ايدي العامّة وابتذلهُ من لا يحسنهُ أنِف المجيدون لهُ من انتحالهِ وتجافى كبرآء اهل القول عن نزول كنفهِ . وهذا ولا ريب احد اسباب عقم الشعر في هذه الايام وانصراف الرغبة عنهُ الى النثر الذي لا يجلّي في حلبتهِ الا كل من اعطتهُ البلاغة قيادها وملّكتهُ الفصاحة عنانها ولذلك ترى المتعرّضين للشعر اكثر من المتعرّضين للنثر حتى في الاعصر الاولى وايام كانت الفصاحة شائعةً بين طبقات المتأدبين على العموم

ولقد مرّ بنا كثيرٌ من ركيك الشعر وساقط القول ولا سيما في هذه السنين المتأخرة التي لم يبقَ فيها من عرف قاعدةً من قواعد الصرف او قرأ ديواناً من دواوين الشعرآء الا تصدّى للنظم وطيّر قصائدهُ في البلاد الا ان جلّ ما كنا نكرهُ على اولئك الشعرآء خلوّ كلامهم من مبتكر المعاني وجليل الاغراض وبُعد الفاظهم عن مقام الجزالة العربية التي هي حلية الشعر ورونقهُ ولم نكن نتوهم ان نرى من الشعر ما يبلغ ان ينتظم في سلك اللغو ويُعَدّ ضرباً من التخليط والهذيان مما لم نرَ لهُ مثيلاً الا في كلام بعض الجرائد عندنا مما سبقت لنا الاشارة اليهِ في غير هذا الموضع . لا جرَم ان هذا من فاحش التأخر بل هو نهاية السقوط والانحطاط ولولا ان تكون تلك القصائد مطبوعةً متداولةً بين ايدي المطالعين لما كنا نؤثر الا سترها على اربابها تفادياً من هذه المعرّة الشنعآء . ونحن نروي لك امثلةً منها تكفي للدلالة على باقيها فمنها قول القائل في فاتحة تلك القصائد

تسابقَ درّ المادحين امامهُ وكلٌّ غدا فيما يقول مقصرا

ولم نسمع ان الدرّ يتسابق الا في هذا البيت . وقولهُ

لهم اوجهٌ منها الهشاشة اشرقت وعرفٌ بهِ الطرف القريح تنوّرا

وما نعلم كيف يتنور الطرف بالعرف ولا اي مشاركةٍ بين العين والانف . وقولهُ

ولما بدت انوارهُ وتلألأت فقلنا بهِ يا ما اجلّ وازهرا

وما عابهُ نقصٌ بُعيد تمامهِ كذلك اذا خسفٌ عراهُ تغيرا

وانظر ماذا تفهم من هذا البيت الاخير . ومنها قول الآخر

يميس ببردة النعمات تيهاً اميناً باليمين وبالشمالِ

بظل ظلال من اولى البرايا بحوراً من مكارم كالرمالِ

وقولهُ

وحى اقوالهُ كظباة عضبٍ تقدّ بحدّها صعب الوصالِ

يطارح في مراميهِ بعيداً وفي شوط المصاعب لايخالي

وقول الآخر

جلت لنا برق رعدٍ خلبٍ فذرى قلبي بقرب الردى في سحب هجريها

رأت تدلل ليلى عند قيس كما ارى تذلل قيس في تصابيها

يدنو اليها قريح الجفن تجزلهُ ريقاً رحيق لمىً برداً يوافيها

وقولهُ

حنت فنحت دواعي الزعر عن مهجٍ تخال في وصلها صولاً يجافيها

جماعة الجهم والالطاف في خلقٍ صدّاً ووصالاً صلا ناراً بعاديها

وقول الآخر

الى اهلهـا تصبو العلى والمراتبُ واقدارها عن كل قدرٍ دلائلُ

فلا تحسبنَّ المجد سهلاً نوالهُ فدونهُ بيدٌ خلٌ فيها الحلاحلُ

وقول الآخر

لو اسطاع ثغر الشرق زم رحالهُ اليك ليحيي بالمثول ضـلوعا

فوالله لم يمنعهُ عن ذاك شاغلٌ سوى شططٍ ابقى الفؤاد مروعا

وقول الآخر

اعزّ واحمى في الشدائد والرخا وان كان اقدامٌ فما فوقهُ الاجرى

يهيء لدى الجلى وقد زعر الورى فيجلو دياجيها وقد رغم الدهرا

وقس على ذلك سائر ما هناك مما نحسب المطالع اكتفى منهُ بهذا القدر . ولا نزيد اولي الذوق علماً بان مثل هذا الشعر حريّ بان يزري بقدر الممدوح لما فيهِ من امتهان ذكرهِ وتعريضهِ للسخرية والاستهزآء وقد جاء في بعض كتب الادب ان احمد بن اسمعيل بن الخصيب دخل يوماً على سليمان بن وهب يعزيهِ عن والدتهِ فقال لهُ يا اعزّك الله بي مصائب انثالت عليَّ من كل جانب فقال ما هي اطال الله بقآءك قال ماتت امي وغُيّر اسمي ورُثي ميتي بهذا الشعر ورمى اليهِ رقعةً فيها مكتوب

لامّ سليمانٍ علينا مصيبةٌ مجللةٌ مثل الحسام البواترِ

وكنتِ سراج البيت يا ام سالمٍ فاضحى سراج البيت بين المقابرِ

قال فاشتغل بالضحك عن البكاء وبالتسلي عن العزآء . انتهى . فقد رأيت انهُ عدّ رثاء امهِ بهذا الشعر مصيبةً اخرى فوق مصيبتهِ فيهـا لِما عرّض

ذكرها للضحك والاستخفاف في مقام الحزن والخشوع ٠ وانت تدري ان المقصود بالمدح والرثآء وسائر الاغراض الشعرية تصوير المعنى باظهر الوانهِ واشدها تأثيراً في النفس والمبالغة في الوصف الى آخر حدٍّ ممكن على ما هو المعروف من مذهب الشعرآء فاذا برز ذلك المدح في صورةٍ مضحكة وقالبٍ مستهجَن غلب ما فيهِ من الهُجنـة على محاسن اوصاف الممدوح وانصرفت النفس عن الاشتغال بتصوُّر فضائلهِ والاعجاب بمناقبهِ الى اللهو بما ورد في كلام الشاعر من المضحكات فتوارى ذكر الممدوح ورآء هذا الستار الممتهَن

واسوأ مما ذُكر وابعد مذهباً في الفهاهة انك ترى منهم من يعمد الى البيت المشهور من ابيات الذم او الرثآء فيُدخِل بعض الفاظهِ في قصيدتهِ او يُفرغ في قالبهِ بيتاً من المدح فاول ما يقرأهُ المطالع او يسمعهُ السامع يذكر ذلك البيت فيكون كالتعريض بالممدوح وذلك كقول القائل في اهدآء هذه المجموعة يخاطب الممدوح

فغضّ طرفك ان العجز يخجلها   لعزّةٍ انت بدرٌ في معاليها

فان اول ما يقرع الخاطر من هذا البيت قول جرير في هجآء الراعي وهو من الشواهد المشهورة في كتب النحو

فغضّ الطرف انك من نميرٍ   فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وكقول الآخر

فلو قيل من نال العلى بلياقةٍ   اشارت اليهِ بالتواري الانامل

فانهُ سلخ البيت المشهور وهو من شواهد النحو ايضاً

اذا قيل ايّ الناس شرّ قبيلةٍ اشارت كليبٍ بالاكفّ الاصابعُ

غير انهُ بدّل الاصابع بالانامل والاكف بالتواري والله والناظم اعلم بما اراد بهذه اللفظة . ومثلهُ قول الآخر

اذا قيل ايّ الناس واحد عصرهِ تمدّ اليهِ الخلق انملها العشرا

فانهُ لا يعدو البيت نفسهُ الا انهُ جعل الاشارة اليهِ بالانامل العشر اي بالراحتين جميعاً مفتوحتي الاصابع ..... ومن ذلك قول صاحب هذه القصيدة وهو بيت المطلع

افيقا لسان الحال قد نظم الدرّا وصوت الهنا اهدى الى البشر البشرى

وانظر ما محل قولهِ افيقا من هذا البيت وانما هو من قول المتنبي

افيقا خمار الهمّ بغّضني الخمرا وسكري من الايام جنّبني السكرا

والفرق بين الموضعين ظاهر . ومن هذا القبيل قول الآخر

ركبتَ مطيّةَ الاخلاص بدءًا فرُقّيتم الى خير المآلِ

وانما هو من قول ابي الحسن الانباري في رثآء ابن بقية وقد مات مصلوباً

ركبتَ مطيةً من قبلُ زيدٌ علاها في السنين الماضياتِ

واما ما هناك من اغلاط اللغة والنحو والوزن والتقفية فامرٌ يطول الكلام عليهِ وليس من قصدنا في هذا الموضع وقد امتدّ بنا نَفَس الكلام الى ما لا يحتملهُ حال هذه القصائد ولا تتسع صفحات هذه المجلة للمزيد عليهِ . والله يعلم ان ليس من غرضنا فيما اوردناهُ تثبيط اقلام اولئك الادبآء وامثالهم عن الجري في هذا المضمار فانهُ ليسرّنا ان نرى في قومنا من يهتمّ بالادب واللغة ويشتغل بالشعر والانشآء وهو ولا شك مما تفخر بهِ البلاد ويحيا

بهِ تمدّن الأُمّة ولكن لا اقلّ من ان يكون ما يأتون بهِ صحيح التركيب مفهوم المعنى ولا نطالبهم بالفائق ولا الجيّد والا فقد كانت الاميّة اجمل واستر . وانما الذي نتوخاهُ هنا تنبيههم الى التثبُّت فيما يكتبون وان لا يعجلوا الى نشر ما يبدر من قرائحهم قبل تنقيحهِ وعرضهِ على من يقيم من أَوَدهِ او ينبه الى ما فيهِ من خطإٍ او لحن والا فلا اقلّ من ان يطلع الواحد منهم صاحبهُ على ما يجود بهِ خاطرهُ فان للمرء في شعر غيرهِ نظرةً غير نظرتهِ في شعر نفسهِ وان لم يكن هذا ولا ذاك فليطوِ ما ينظمهُ عن نفسهِ اياماً حتى يتناساهُ ثم يعاودهُ فانهُ حينئذٍ يكون نظرهُ فيهِ كنظر الاجنبي ويتنبه فيهِ لاشياء لم يتنبه لها حال النظم . ونمسك عنان القلم على هذا القدر تفادياً من الملل والله المسؤول ان يسددنا جميعاً بهديهِ وهو حسبنا

لله في خلقهِ آيات

نقصّ على قرآئنا الكرام نادرةً مبتكرةً اتفقت لنا في هذه الايام وهي ان رجلاً — او غير رجلٍ . . . ولكنهُ فيلسوف في جنسه — أُرسل اليه الضيآء في جملة من ارسل اليهم من المشتركين فلما بلغهُ الجزء الاول ردهُ ولكن على صورةٍ غريبة لم نعلم معها كيف نجاريه على هذا الرد فانهُ جرَّد الجزء من اللفافة المكتوب عليها اسمهُ وغلفهُ بلفافةٍ اخرى وكتب عليها اسمنا وسلمهُ الى البريد فلما صدر الجزء الثاني ارسل اليه بالضرورة لاننا لم نتنبأ عن اسمهِ حتى نمحوهُ من بين اسمآء المشتركين ففعل به كما فعل بالاول ثم وصل اليهِ الثالث ففعل بهِ كذلك والى الآن لم يفهم ان الضيآء لا يمكن ان يُقطع عنهُ ما دام اسمهُ مجهولاً عندنا ونحن نعلم انهُ مظلوم بارسال الضيآء اليهِ والضيآء مظلوم بان يُرسل الى مثلهِ ولكن من لنا بان نعرف اسمهُ حتى نعفيهُ من الضيآء ونعفي انفسنا من هذا العنآء

فكاهات

رواية

حكمة الوالدين (١)

كان في مدينة باريز رجلٌ واسع الثروة بسيط الجاه يقال لهُ المسيو ريشار موصوفٌ بحصافة العقل وثقوب الذهن واصالة الرأي وبُعد المدارك وقد عركتهُ الحوادث وسبكتهُ التجارب حتى قتل الدهر خبراً وعرف الايام بطناً وظهراً. وكانت لهُ زوجةٌ لا تنحطّ عنهُ حكمةً ورصانةً يقال لها جوليا قد جمعت بين شهامة اللبّ ومكارم الاخلاق والصبر وطول الاناة وكان زوجها يجلّها ويكرّمها لما زُيّنت بهِ من المواهب الطبيعية ومحاسن الآداب فعاشا عيشةً راضية تمثلت فيها سعادة الحياة ورغد معيشة الزوجين بالأُلفة والسلام. وكانت لهما بنتٌ بارعة الجمال يقال لها لويزا قد احسنا تربيتها وتهذيبها فنشأت على الفضائل ومحامد الخلال وتلقنت العلوم في افضل المدارس فاحكمت كثيراً من المعارف والفنون حتى قرنت الجمال بالكمال واصبحت فتنةً للالباب وبهجةً للناظرين. ولما اتمّت التحصيل وكان لها من العمر ثماني عشرة سنةً خرجت من المدرسة فاستقرّت في بيت ابيها وعُني والداها بتخريجها في فنون المعاشرة وآداب المجتمع فكانا يعرّفانها بزوّار المنزل

(١) بقلم موسى افندي صيدح

فتجلس اليهم وتحادثهم ولم يمضِ الا قليل حتى اصبحت زينة تلك المجتمعات ومحل اعجاب كل من رآها واختبر عقلها وادبها مما زاد ابويها سروراً بها وزادها نشاطاً وانبساطاً فكانت لا تُرى الاّ طَرِبةً مسرورةً ولا يُسمَع في اطراف المنزل الاّ تغريدها العذب ونغماتها الشجية ولم يكن لوالديها من امنيةٍ الا ان يقعا لها على كفؤٍ من الازواج يليق بها ويكفل سعادة آتيها

وكان فيمن يزور اباها فتى في الخامسة والعشرين من السنّ طلق المحيا رقيق الاخلاق حسن المحاضرة يقال لهُ المسيو موريس من المستخدمين في وزارة المالية وكان قد قُدّم الى البيت على يد احد الاصدقآء ثم جعل بعد ذلك يتردد حيناً بعد حين وقد كلف بحب الفتاة وطمع في وفرة غناها لما يعلم من اتساع ثروة ابيها فجعل يجهد في التقرّب من قلبها بكل ما استطاع من اساليب الرقة ولطف المغازلة حتى مالت اليهِ واستولى على ازمّة هواها وصار يجلس اليها في اكثر الاحيان فيتحادثان ويتغازلان . ولما تمكن الانس بينهما ووثق بحبها وانعطافها كاشفها برغبتهِ في الاقتران بها فاظهرت لهُ الاجابة الى ذلك لما سبق من مكانهِ في قلبها فكاد يطير فرحاً واستبشاراً وأيقن بالحصول على ما يتمناهُ من السعادة وتمثل لهُ المستقبل باسماً محفوفاً بلألآء المجد والغبطة . فسكر بنشوة هذه الامانيّ وحدثتهُ نفسهُ ان يذهب ويطلبها من ابيها فاسرع وفعل فلما سمع ابوها منهُ ذلك وهو ما لم يكن يترقَّب ان يصدر منهُ بالقياس الى انحطاط مقامهِ عن منزلة البيت اخذتهُ أنفةٌ شديدة وصدّهُ صدّاً جافياً . فأخذ يتوسَّل اليهِ بكل ما استطاع من الضراعة فلم يغنِ ذلك عنهُ شيئاً وانصرف وهو يتعثر بأذيال الخيبة وقد

اضمحلَّت آمالهُ كما يضمحلّ سحاب الصيف في أفق السمآء وتقوّضت صروح امانيهِ وظهرت لهُ تماثيل رجآئهِ في اقبح صور اليأس والقنوط . ولما بلغ الى منزلهِ كتب الى لويزا يعلمها بما كان ويشكو اليها فرط لوعتهِ وما اخذهُ من المضّ والجزع عند ما أيقن باليأس من الاقتران بها فلم تكن لويزا بأقلّ منهُ كمداً واكتئاباً عند ما بلغتها رقعتهُ لما كان لها من شديد التعلق بهِ والميل اليهِ وما كانت تبني على اقترانها بهِ من آمال الغبطة والنعيم فاستولى عليها الانقباض والقنوط وتبدل صفوها بالكدر وبدت على ملامحها علائم الغمّ والوحشة فانكسف ذلك الجمال بعد اشراقهِ وتبدلت تلك البهجة بالاكفهرار والعبوس

وشعرت والدتها بتغير حال ابنتها وعرفت سببهُ لانها لم تكن تجهل تعلقها بموريس ولا تمانع اقترانها بهِ لما كانت ترجو لها من الغبطة في ذلك الاقتران بيد انها لم ترَ ان تفاتح زوجها بهذا الحديث لما تعلم من شدة شكيمتهِ وفرط تصلبهِ في رأيهِ وخشيت ان يكون ذلك سبب تنغيص لعيشتهم البيتية فلزمت الصمت اضطراراً وتربصت ان تأتي الايام بحلّ لذلك المشكل

واتفق في اضعاف ذلك ان رجلاً من ذوي الحسب الرفيع والثروة الطائلة يقال لهُ الكُنت رولان كان قد رأى لويزا فوقعت من قلبهِ موقعاً جليلاً وأُعجب بما شاهد من جمالها وسمع من صفاتها فوافى اباها خاطباً فسرّ ابوها بذلك اعظم سرور لما يعلم من محاسن صفات الرجل وكرم أصلهِ ووفرة غناهُ الا انهُ لم يحبّ ان يقطع معهُ قولاً الاّ بعدما يقف على رضاها فسأل

الكُنت ان يمهلهُ في ذلك اياماً ثم جآء ابنتهُ وعرض عليها الامر فرفضت فراجعها بكل وسيلةٍ للاقناع فلم تزد الاَّ عنادًا واصرارًا على الإبآء فلجأ اخيرًا الى العنف وتهددها بكل ويلٍ اذا لم تجب الى طاعتهِ في اجلٍ ضربهُ لها وانصرف وقد بلغ منهُ الحنق والغيظ كل مبلغ وتنغصت ايامهم بعد ذلك بما شابها من النكد والنزاع بين لويزا وأبيها . أما جوليا فكان دأبها المراوحة بين تسكين غضب زوجها وترويض اخلاق ابنتها بما وسعها من الجهد وما أوتيت من الحكمة وهكذا اصبح البيت في قلق دائم وخيَّم عليهِ الغمّ والكمد وانقلبت تلك المسرّات الى همومٍ وقعها مرّ وعنآؤها مستمرّ

ولما كانت الليلة التي وُعد الكُنت رولان ان يبلَّغ الجواب في غدها باتت جوليا في تلك الليلة قلقة الخاطر مضطربة البال لحلول الموعد الذي ضربهُ زوجها للكنت وبقآء لويزا على اصرارها وامتناعها من موافقة ابيها بحيث يُضطرّ الى اجابتهِ بالرفض فكثرت هواجسها وأحاطت بها جيوش الهموم ولم يأخذها نوم ولا قرار . ولما تنصف الليل وقد غلب عليها الارَق وضيق الصدر نهضت من سريرها وفتحت باب غرفتها فرأت في غرفة زوجها نورًا فعرفت انهُ استيقظ في تلك الساعة فدخلت عليهِ فوجدتهُ جالساً وراء مائدتهِ مكباً على المطالعة يحاول بها طرد ضجره ومدافعة بلبالهِ . فنظر اليها وقال لها ما أتى بكِ في مثل هذه الساعة ألعلَّكِ آتية لتسكّني غضبي وتترضّيني عن وقاحة ابنتكِ على حسب العادة فاعلمي ان غيظي منها قد بلغ حدّهُ فاذا ذكرتُ اسمها ارتجفت شفتاي واذا تمثل لي اصرارها وعصيانها انتفض كل عرقٍ مني لاني فضلاً عن تمرُّدها ومخالفتها لرأيي أراها ترمي

بنفسها في مهواة الشقآء وتضيع سعادة مستقبلها في سبيل الحماقة والطيش . فقالت لقد عهدتك حكيماً حازماً كثير التروّي والاناة في كل أعمالك فلا يُطيشنّ هذا الحادث حلمك ولا يستولينّ عليك الغضب والحدّة ولقد افرغنا كل ما في وسعنا من اساليب الملاينة وطرق المخاشنة لاقناعها فلم يكن الى ذلك من سبيل فهل يحسن بعد هذا ان نُكرِه ابنتنا على التزوّج بمن لا تحبهُ ولا يطيب لها معهُ عيش أوَلا ترى اننا بذلك نعرّضها لشقآء دائم ونكون سبباً في تنغيص حياتها بضروب النكد والقلاقل وقد نكون جالبين عليها وعلى انفسنا ما لا تُحمَدعقباهُ . ثم اذكر ألم يكن زواجنا مسبوقاً بالرضى والاختيار وتبادل الحبّ من الجانبين فلمَ لا يكون زواج ابنتنا كذلك وبأيّ حقٍ نحرمها الاقتران بمن تميل اليهِ وتعيش معهُ عيشةً راضية ولا سيما ان موريس فتى حلو الشمائل رقيق الطباع مهذب الخصال خليقٌ بأن تكون ابنتنا معهُ في حالٍ يسرّها ولو لم يكن غنياً . فقال ريشار ولكن اعلمي يا جوليا ان موريس لم يخطب اليّ ابنتي الا رغبةً فيما يعلمهُ من ثروتها الطائلة فهو في الحقيقة مغرمٌ بصندوق اموالي لا بجمالها وانما يروم الاستيلآء على جواهري وأملاكي لا الاستيلآء على يدها وأما الكنت فانهُ رجلٌ غنيٌّ لم يغرّهُ الطمع في المال ولكنهُ يودّ الحصول على لويزا لاعجابهِ بجمالها وأدبها وانما طلبها عن حبٍّ صحيح وميلٍ مجرَّد فهو الحريّ بأن يقدُر مواهبها حقَّ قدرها والذي تحظى عندهُ بالسعادة وهنآءة العيش . قالت لا يبعد ان تكون مصيباً في ذلك وما انا بالتي تغالطك فيهِ ولكنّ صرفها الى هذه الجهة لا يكون بالتهديد والتضييق على اميالها بل ربما كان ذلك مما يزيدها نفاراً

واصراراً فالاولى ان نتدبر الامر بالاناة والصبر ونسلك معها سبيل اللطف والملاينة لاقناعها بما هو خيرٌ لها وأرى ان تكل هذا الامر اليَّ اتصرف فيه بما يُفتَح بهِ عليَّ ولعلي لا انتهي الا الى ما تحب . قال دونكِ فافعلي ما شئتِ فخرجت من عندهِ وعادت الى غرفتها

وما كادت جوليا تستقرّ في غرفتها حتى رأت لويزا داخلةً عليها بملابسها المعتادة وعليها علائم القلق والارتباك فاستغربت منها جوليا ذلك وقالت ما الذي جآء بكِ في مثل هذه الساعة يالويزا وما بالكِ لم تنامي بعد . فاستخرطت في البكآء ووقعت على قدمي والدتها وقالت ارحميني يا والدتي . قالت وما عرض لكِ الآن يا ولدي . قالت اغتفري ذنبي فاني لم اقدم على ما نويت فعلهُ الا لقساوة والدي فكوني انتِ أرأف بي منهُ واني منطرحةٌ بين يديكِ وغير صادرةٍ الا عن رضاكِ . قالت ويحكِ وما ذاك . فأخرجت صحيفةً ودفعتها الى والدتها وقالت خذي واقرئي ثم اجهشت بالبكآء . وكانت الصحيفة رسالة من موريس يواعدها فيها ان يأتيها الساعة الواحدة بعد منتصف تلك الليلة ويقول لها لتنتظرهُ في تلك الساعة في حديقة القصر ليأخذها ويفرّ بها . فلما قرأت جوليا الرسالة جعلت ترتعد من الغضب وتقول يا للنذالة أبَلَغ من وقاحة الوغد انهُ يريد اختطاف ابنتي . ثم التفتت الى لويزا وقالت لها اذن كنتِ تنوين ان تفارقي والديكِ على هذه الصورة المعيبة وتخلعي على اللذين ربياكِ هذا العار . قالت عفواً يا والدتي فان هذا هو الامر الذي استوقفني عن عزمي واقامني في الحيرة والارتباك بين ان اجيب داعي حبي لموريس او ارعى شرف والديّ وجميلهما ولذلك لم اجد الا ان ألتجئ اليكِ

وأستغيث برحمتكِ وحنوّكِ . قالت لقد احسنتِ بكشف سرّكِ لي فانكِ حديثة السنّ قليلة الاختبار فدعيني اتولى عنكِ الوصول الى نهاية هذا الامر . وكانت الساعة قد اتت فأخذت جوليا بيد ابنتها وقالت لها هلمي بنا ننزل الى الحديقة ونلاقيهِ هناك . قالت ولكن يا أُمَّاهُ . . . قالت هذا ليس من شأنكِ فاتبعيني ثم نزلتا الى الحديقة ولم تلبثا الا قليلاً حتى رأتا شبحاً يتسلل بين الاشجار وهو يقترب منهما . فأشارت جوليا الى لويزا ان تتوارى قليلاً بحيث تكون منهما بمرأى ومسمع ففعلت ودنا الشبح حتى وقف امام جوليا فاسرعت بعودٍ من الثقاب وأشعلتهُ فلما لمح موريس هيئتها ارتدّ الى الورآء مذعوراً وقد استولى عليهِ الدهش والهلع . فقالت لهُ سكّن روعك يا مسيو موريس ولا تجزع لشيء فان لويزا قد كاشفتني بمكنون سرّها وعرّفتني كل ما دار بينكما فاجلس لنتحدث قليلاً . فجلسا على مقعدٍ هناك وابتدأت جوليا بالكلام فقالت لهُ اني أعلم يا موريس بمحبتك لابنتي ومحبتها لك ولست استغرب مجيئك الآن لتأخذها خُلسةً بعد ان ردّك ابوها ومنعها منك ولستَ اول من فعل مثل ذلك في مثل هذه الحال واقول لك اني لا امانع اقترانك بها لاني اعلم انك شابٌّ لطيف الذات ممدوح الصفات وانها ستعيش معك عيشةً هنيئة . قال ما اغزر حكمتكِ يا مولاتي وأوفر حلمكِ وان لساني ليعجز عن وفاء شكركِ على ما ابديتهِ من الجميل وكرم الاخلاق لكن أحقاً لا تمانعين . قالت لا ولكني قبل ان اخوض معك في هذا الحديث رأيت ان اطلعك على امرٍ لا بدَّ منهُ مما يتعلق بهذا القران حتى تكون على بينةٍ مما انت مُقدِمٌ عليهِ وهو امرٌ لم اكن لاكاشفك بهِ

لولا ان الحال الجأتني ان افشيهُ اليك وارجو ان تكتمهُ علينا لانهُ الى الآن لا يزال مستوراً . قال تكلمي فكلي مسامع وأعدكِ وعد صادقٍ اني لا ابوح بحرفٍ مما تقولين . قالت تعلم يا موريس ان زوجي ربّ مصرف وان اصحاب هذه الحرفة معرّضون كلّ ساعةٍ لسقوط ماليتهم يتهددهم الخراب من حيث يعلمون ولا يعلمون ولست اخفي عنك ان هذا ما وقع لنا لان ماكان آخراً من نزول اسعار الاسهم قد جلب علينا خسائر جمة استغرقت كل ما نملك ولم يبقَ لنا ما يقوم بضروريات معاشنا فهذا القصر الذي تراهُ وهذه الارض التي تطأها والثروة الواسعة التي تسمع بها كل ذلك لم يعد ملكاً لنا ولم يبقَ لنا منهُ شيءٌ وهذا ما دعا زوجي ان يرفض طلبك ويمنع زواج لويزا وقد كتمنا الامر عن لويزا فهي الى الآن لم تعلم بشيءٍ منهُ . قال أحقٌ ما تقولين يا سيدتي وقد وافاكم هذا الخراب الفجآئي قالت نعم وانهُ لخرابٌ عظيم يا موريس فقد امسينا فقرآء وامسى من يتزوج لويزا يتزوج فتاةً فقيرة لا تملك شيئاً . وقد اطلعتك على حقيقة الحالة لتراجع رأيك في الامر حتى اذا كنت لا تزال على عزمك فهيَّا بنا الآن لاتمام العقد بحضوري فان لويزا بالانتظار وانا ارافقكما الى المنزل ولا داعي لأن نخرج خُلسةً كما كنت تنوي ان تفعل بل نخرج جهاراً ونحن على كمال الطمأنينة لان البواب اذا رآني لا يتأخر عن ان يفتح الابواب

فلما فرغت من حديثها اطرق موريس الى الارض يتفكر وقد ايقن بصحة جميع ما ذكرتهُ جوليا وتحققت لهُ خيبة املهِ من الحصول على الثروة التي كان يرجوها . فقالت لهُ جوليا مالك يا موريس قم بنا لنذهب فقال

اني اشكركِ يا سيدتي على كرم اخلاقكِ وعظيم ما بذلتِ لاجلي فانكِ سمحتِ باقتراني بلويزا وعزمتِ ان تنابذي زوجكِ وتتعرضي لسخطهِ وانتقامهِ وانا لا احبّ ان احملكِ كل هذا من اجلي فأرجو ان تأذني لي في الانصراف وقام لساعتهِ وانسلّ من بين الاشجار عائداً من حيث اتى. فقهقهت جوليا ضحكاً وقالت للويزا أرأيتِ مبلغ حبهِ لكِ وعلمتِ يقيناً انهُ انما يرغب في اموالكِ لا فيكِ فانبذي من قلبكِ حبّ هذا المتملق المخادع وأيقني بنصح مشورة ابيكِ وسموّ حكمتهِ وصدق رغبتهِ في ابتغاء راحتكِ وسعادة حياتكِ. فألقت لويزا بنفسها على عنق والدتها ويديها تقبلهما وتستغفرها عما فرط منها من الجهل والغرور وقد ايقنت بزيغها وشعرت بخطآئها العظيم في تسرعها بتسليم قلبها الى من لم تختبر طويتهُ وندمت على ما كان منها من مخالفة والدها وعدم ثقتها بحسن قصدهِ وطلبت من والدتها ان تستغفرهُ لها وتستجلب رضاهُ عنها. ثم صعدتا الى المنزل فذهبت جوليا واخبرت زوجها باعتدال لويزا في افكارها ورجوعها عن غيها وذلك دون ان تطلعهُ على شيء مما كان فسرّ الوالد كل السرور وانفرجت كربتهُ ونام الجميع بدعةٍ وسلام وقد زال ما كان يتهدد ذلك البيت من النكد والشقاق

ولما كان الصباح اقبل الكُنت رولان للموعد فاجيب طلبهُ بالقبول وبعد ايام تمّ عقد القران وقضت لويزا معهُ حياةً هنيئةً لا يشوبها كدر ولا ينغصها نكد وكان الفضل كلهُ في ذلك لحزم والدها وحكمة والدتها